

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

أحياناً قد نجد الصُّعُوبَةَ فِي عَلاَقَاتِنَا مَعَ مَنْ حَوْلَنَا. وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مَعَ وَالِدِينَا، أَوْ أَقَارِبِنَا، أَوْ أَزْوَاجِنَا، أَوْ أَخٍ مِنْ جَمَاعَتِنَا، أَوْ زُمَلَانِنَا فِي الْعَمَلِ أَوْ حَتَّى أَخِلَانِنَا. وَمِنْ الْعَلاَقَاتِ مَا تُوصَفُ بِالصُّعُوبَةِ مِنْ بَدَايَاتِهَا إِلَى نَهَايَاتِهَا. وَلَكِنْ إِذَا بَحَثْنَا عَنِ الْخَطَا أَوْ سَبَبِ سُوءِ التَّفَاهُمِ فِي غَيْرِنَا فَلَمْ نُرْضِ بِهِ إِلَّا الشَّيْطَانَ. فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْطَاءِ أَنْ نُرَكِّزَ عَلَى الْإِشْتِغَالِ بِزَلَلِ الْآخِرِينَ حَتَّى نُهْمَلَ إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

إِذَا وَاجَهَ الْمُؤْمِنُ صُعُوبَةً فِي حَيَاتِهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ وَالتَّوْبَةِ بِكَمَالِ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ. فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾¹ فَكُلُّ تَغْيِيرٍ يَبْدَأُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ. مَنْ اشْتَغَلَ بِخَطَايَاهُ بِصِدْقٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا.

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ يَعْمَلَ أَحَدٌ بِشَكْلِ مَا فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ تَطْبِيقِهِ أَوْلاً حَتَّى يُؤَثِّرَ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبِنَا. فَإِنَّ الْعَيْنَ مَدْخُلُ الْمُخ. فَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ الْيَوْمَ، فَقَدْ يَعْمَلُ بِهِ غَدًا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعْزَاءُ،

إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾²

فَدَكَّرْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ الْجَلِيلَةِ أَحَدَ وَظَانِفِنَا الْأَسَاسِيَّةِ. وَقَالَ

نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ»³

فَإِذَا اجْتَهَدْنَا لِنُصَلِّحَ أَنْفُسَنَا وَطَبَقْنَا مَا نَنْتَظِرُ مِنْ مُخَاطَبِنَا حَتَّى يَتَأَثَّرَ بِهِ بِشَكْلِ إِيْجَابِيٍّ، وَمَا زِلْنَا نَشْعُرُ بِالْحَاجَةِ إِلَى إِصْلَاحِ خَطِيئِهِ فَعَلَيْنَا بِأُمُورٍ. أَوَّلُهَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي كَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ كَانْسَانٍ. وَأَنَّ احْتِرَامَ الْخَالِقِ يَفْتَضِي احْتِرَامَ الْمَخْلُوقِ. فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْتَقِرَ أَحَدًا. ثَانِيًا، لِنَعْلَمَ أَنَّ مُجَرَّدَ التَّقَدُّرِ يُهْلِكُ، وَالتَّقَدِيرُ يُنْتِجُ. فَسَرَى تَأْثِيرَ اللِّسَانِ الْإِيْجَابِيِّ الَّذِي يَذْكُرُ مَحَاسِنَ الْمُخَاطَبِ.

أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَرِيزَةُ،

لَا سَبِيلَ إِلَى الْإِصْلَاحِ إِلَّا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ حَتَّى نَفْهَمَ أَحْوَالَ مُخَاطَبِنَا. فَالَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ لِيَفْهَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَيَتَفَاهَمَانِ لَا مَحَالَةَ. فَلْتَنْزَوُذْ فِي عَلاَقَاتِنَا بِالصَّفْحِ وَالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ حَتَّى نُدْرِكَ سَبِيلَ الْإِصْلَاحِ. فَمَنْ كَانَ مُجْتَهِدًا لِنَيْلِ الصِّلَاحِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ. وَهُوَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَمَنْبَعُ كُلِّ بَرَكَةٍ.

جَعَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُرَكِّبِينَ أَنْفُسَهُمْ وَمِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي عَلاَقَاتِهِمْ. وَجَعَلَ إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا سَبَبًا لِإِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ. آمِينَ



¹ سورة الرعد: ١١

² سورة آل عمران: ١٠٤

³ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٢٣، رقم الحديث (٥٥)